

المحاضرة الأولى: الحرب العالمية الأولى 1914-1918

تمهيد:

تعتبر الفترة الممتدة ما بين 1870-1914 فترة تاريخية حاسمة مليئة بالأحداث والتطورات الهامة التي مهدت الطريق لاندلاع ح.ع.1، وظهور معالم العالم المعاصر. كان من أبرز أحداث هذه الفترة الحرب البروسية الفرنسية، والتي انتهت بانتصار بروسيا، واسترجاع الألزاس واللورين، وتأسيس الدولة القومية الألمانية سنة 1871، وكان لذلك تداعيات كبيرة على موازين القوى في أوروبا، تمثلت في ظهور ألمانيا القوة القومية الاقتصادية والعسكرية التي أصبحت تزاحم بريطانيا على ريادة أوروبا، في حين تراجعت فرنسا، وظهر بذلك ليس فقط التنافس، بل أجواء الحقد والانتقام من الألمان، ولعل ذلك قد تجسد في ما حدث في فرنسا مباشرة بعد الهزيمة في هذه الحرب.

وإذا كان انتصار ألمانيا قد كان له وقع كبير على الفرنسيين، فقد كان له أيضا أثر في العلاقات الدولية، وكذا التأثير على الأحداث التي ستشهدها القارة الأوروبية خصوصا في جزئها الشرقي، وتحديدًا منطقة البلقان.

ويمكن الاعتبار أن هذه الحرب وتداعياتها هي التي عكّرت صفو العلاقات الأوروبية وزادت من حدة التنافس الأوروبي، خصوصا على المستعمرات في إفريقيا وآسيا، وعلى تركة الرجل المريض في البلقان، ورغم أن سياسة الألمان وبسمارك تحديدا قد ركزت جهودها على الألزاس واللورين كمكسب كافٍ لألمانيا دون الحاجة إلى اقتحام ميدان التنافس الاستعماري، بل أن بسمارك كان يشجع كل مغامرة فرنسية خارج أوروبا.

وإذا تكلمنا عن ظهور دولة ألمانيا القومية سنة 1871، فلا يمكننا أيضا أن نتجاوز ظهور إيطاليا التي توحدت هي أيضا وشكلت دولة قومية ستدخل ميدان التنافس على الريادة في أوروبا وعلى تحقيق مكاسب استعمارية خارجها.

والحق أن تغير الخارطة السياسية في النصف الثاني من ق 19 لم ينحصر بقارة أوروبا، بل أيضا شهدت هذه الفترة ظهور قوتين من خارج القارة، ونقصد بذلك الولايات

المتحدة الأمريكية التي استقلت عن التاج البريطاني سنة 1783 ونجحت في الخروج من الحرب الأهلية التي شهدتها الشمال والجنوب (1861-1865)، لتخرج إلى الوجود دولة الولايات المتحدة الأمريكية كقوة إقليمية تبنت سياسة العزلة أو التوسع القاري عملاً بمبدأ رئيسها جيمس مونرو (أمريكا للأمريكيين)، كي تبقى بعيدة عن التدخل في شؤون الدول الأوروبية أو تدخل أوروبا في شؤون دول القارة الأمريكية، وفي جنوب شرق آسيا تظهر اليابان كأكبر قوة في القارة بعد أن توحدت في سنة 1868، ونتيجة ذلك ازداد عدد الدول أو القوى السياسية والاقتصادية الجديدة التي ستدخل هي أيضاً حلبة الصراع والتنافس، مع الإشارة إلى أن 4/1 من المستعمرات كانت قد اقتسمت كمناطق نفوذ بين الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية.

وإذا كانت هذه الفترة قد شهدت هذه التغيرات السياسية الجوهرية في القوى والعلاقات الدولية، فإن هذه الفترة أيضاً قد شهدت حدثاً اقتصادياً هاماً تمثل في دخول أوروبا والعالم المرحلة الثانية من الانقلاب الصناعي، والذي تمثل في اكتشاف طاقات بديلة للفحم واختراع وسائل جديدة ستساهم في تشجيع الحركة الاستعمارية، ناهيك عن ازدياد الطلب على المواد الأولية وعلى الأسواق، وهو ما يؤدي حتماً إلى ازدياد التنافس ومنه إلى ازدياد التوتر بين هذه الدول وإلى تردي العلاقات بينها.

وصفوة القول فإن هذين الحدثين ونقصد بهما حرب 1870 والمرحلة الثانية من الانقلاب الصناعي قد كان لهما الأثر الكبير في تمهيد الطريق لدخول العالم إلى الحرب الكونية أو الحرب العظمى التي هي الحرب العالمية الأولى.

إن الحديث عن ظروف وأسباب وملابسات هذه الحرب يقودنا إلى إعادة قراءة الحدثين السابقين الذكر وتداعياتهما إلى غاية اندلاع هذه الحرب في سنة 1914، ويمكننا حصر هذه الأسباب في ما يلي:

- نمو الروح القومية وانتشار المد القومي خصوصاً بعد نجاح القومية في كل من ألمانيا وإيطاليا، وامتد تأثير ذلك إلى منطقة البلقان ذات التنوع العرقي والديني،

دون أن ننسى تأثر المنطقة بما حدث في اليونان بين (1822-1830)، لتنجح الشعوب هذه المرة في استخدام القومية كوسيلة للتعبير على رفض أطماع الإمبراطوريات السائدة آنذاك.

- ازدياد التوتر والأزمات التي كان أخطرها سنة 1908 في البلقان و1911 في المغرب (أزمة أغادير).

- ظهور تحالفات دولية وانقسام أوروبا والعالم إلى حلفين كبيرين أو كتلتين: دول الوسط أو الحلف الثلاثي المتشكل من ألمانيا، النمسا والمجر، الدولة العثمانية (إيطاليا)، ودول الوفاق الثلاثي: إنجلترا، فرنسا وروسيا، ثم التحاق الولايات المتحدة الأمريكية وشعوب المستعمرات، وكانت الأزمات المتتالية قد أدت إلى نشوء هذين الحلفين.

- التسابق نحو التسلح، تمثل في توظيف نتائج البحث العلمي وتسخير المجهود الاقتصادي لخدمة المجهود العسكري، لتتمكن هذه الدول من امتلاك أسلحة حديثة، ولأول مرة سيأتي الحديث عنها عند الإشارة إلى وقائع الحرب.

- الدعاية المغرضة، وتمثلت في توظيف وسائل الإعلام آنذاك لتهيئة الرأي العام الأوروبي خصوصا والعالم لخوض غمار هذه الحرب، وقد كان بالإمكان تفادي نشوب هذه الأخيرة عند أزمة البوسنة والهرسك ومقتل ولي عهد النمسا، وتجسدت الحرب الإعلامية بين ألمانيا وفرنسا، حيث كان الإعلام الفرنسي يغذي شعبه بروح الانتقام من الألمان وإعادة مجد فرنسا، في حين عمل الإعلام الألماني على إظهار قوة ألمانيا في التصدي لفرنسا وحلفائها.

بينما كان السبب المباشر لاندلاع الحرب هو مقتل ولي عهد النمسا في سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك في 28 جوان 1914، وشكل هذا الاغتيال الشرارة الأولى لاندلاع الحرب، والحديث عن هذا السبب يقودنا حتما إلى ما أشرنا إليه سابقا في كثرة الأزمات، خصوصا في منطقة البلقان، إذ أن حروب البلقان (1875-1878) وانعقاد مؤتمر برلين

الأول في السنة الأخيرة، كان قد ساهم في استقلال العديد من جمهوريات البلقان، غير أن هذه الحرب وأيضاً المؤتمر لم يحسما مشكلة الخلافات العرقية في المنطقة، إذ أن صربيا وبدعم روسي تريد أخذ حصتها في المنطقة، إلا أنها اصطدمت بأطماع النمسا والمجر، مما دفع صربيا إلى البحث عن وسائل للانتقام، فكانت زيارة ولي عهد النمسا وزوجته إلى سراييفو فرصة لتحقيق ذلك، حيث اغتالته منظمة طلابية سرية، ودفع هذا الاغتيال بالنمسا والمجر إلى توجيه أصابع الاتهام إلى صربيا، واشترطت لجنة التحقيق وتوقيف الدعاية المغرضة لصربيا ضد النمسا، إلا أن صربيا رأت في ذلك شروطاً تعجيزية تمس سيادتها فرفضت الطلب النمساوي، وفشلت كل محاولات الوساطة في ظل دعاية إعلامية كبيرة في الدولتين، مما أدى إلى اندلاع الحرب في 28 جويلية 1914.

والحق أن ارتباط هذا الاغتيال سبباً مباشرة لهذه الحرب يعد سبباً غير مقنع، وذلك لمعرفتنا بالظروف الدولية التي سبقت عملية الاغتيال، ويمكن القول أن الروح الاستعمارية التوسعية التي تبنتها الدول الكبرى آنذاك كانت قد ساهمت في ارتفاع حدة التوتر في المستعمرات وفي البلقان التي انزلت بها الأمور إلى أن تكون السبب المباشرة للحرب.

سير الحرب:

سنختصر هذا العنصر في أهم الأحداث التي شهدتها هذه الحرب التي توزعت بين أوروبا، المشرق العربي وشرق آسيا، حيث دخلت جيوش كل من ألمانيا، فرنسا، بريطانيا وروسيا في معارك كبرى، لعل أبرزها ما دار بين الفرنسيين والألمان (معركة السوم وفردان)، حيث تحولت جبهات الحرب إلى حرب خنادق صعبت على طرفي الحرب إحراز أي تقدم إلى غاية دخول سلاح الدبابات ولأول مرة إلى ميدان المعركة، والتي حسمت أخيراً حرب الخنادق.

في سنة 1916 نجحت بريطانيا في إقناع شريف مكة الملك حسين بالثورة ضد العثمانيين مقابل وعد الدولة العربية المستقلة التي سيحكمها الملك حسين وأبناؤه من بعده، وهو ما اصطح عليه بالثورة العربية إلى تحرير منطقة من النفوذ العثماني، وفي الوقت الذي

دخلت فيه الجيوش العربية الحرب ضد الأتراك العثمانيين وقعت فرنسا وبريطانيا الاتفاقية السرية المعروفة بسايك-بيكو، والتي تحدد أطماع الدولتين في المنطقة التي من المفترض أن تكون الدولة العربية المزعومة التي وعدت بها الدولتان شريف مكة، في هذا الوقت راحت اليابان تقوم بالهجوم على مستعمرات ألمانيا في جنوب شرق آسيا ونجحت في تحقيق انتصارات عسكرية هناك، في انتظار الحصول على تلك المستعمرات بعد انتهاء الحرب. وتعتبر سنة 1917 سنة حاسمة في الحرب، وتمثل ذلك في دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، والتي كانت في عزلة كما ذكرنا سالفًا، وجاء دخولها الحرب بعد أن تبادت الغواصات الألمانية في إغراق السفن التجارية الأمريكية المتجهة لبريطانيا، وكان لهذا الفعل أن دفع بهذه الأخيرة إلى دخول الحرب، ومعنى ذلك استفادة دول الوفاق من دخول أكبر قوة اقتصادية وعسكرية بجانبهم.

وفي نفس السنة تنتصر الثورة البلشفية في روسيا بتاريخ 25 أكتوبر 1917، لتتحول روسيا القيصرية إلى روسيا البلشفية الشيوعية.

وفي أقل من شهر من نفس السنة نفسها تحصل اليهود على هدية تاريخية من الإنجليز مقابل مشاركتهم في المجهود الحربي ضد ألمانيا، وتمثل ذلك في وعد بلفور في 02 نوفمبر 1917، أما سنة 1918 فكانت هي الأخرى حاسمة كونها السنة التي انتهت فيها الحرب الكونية بتاريخ 11 نوفمبر 1918 باستسلام الألمان لدول الوفاق دون قيد أو شر، ولا ننسى أن هذه السنة أيضا قد شهدت في بدايتها ظهور كتاب المبادئ الأربعة عشر للرئيس الأمريكي ويلسون.

النتائج:

- أدت الحرب العالمية الأولى إلى نتائج كبيرة على كل الأصعدة البشرية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية.
- أدت هذه الحرب إلى مقتل حوالي 10 مليون قتيلًا، وهو رقم فاق كل التوقعات، ويمكن إرجاع ذلك إلى تطور الأسلحة وطول مدة الحرب وانتشارها الجغرافي، ويرتبط بهذا الرقم الملايين من الجرحى والمعطوبين والمشوهين.
- أدت إلى تردي الواقع الاجتماعي (الفقر، الأمراض...).
- في جانبها الاقتصادي أدت إلى دمار الاقتصاد العالمي خاصة الدول الأوروبية، حيث تراجع الإنتاج بشكل كبير في المجالين الزراعي والصناعي، وتراجع النشاط التجاري.

أما في الجانب السياسي، فقد أدت الحرب الكونية إلى حدوث تغير يكاد يكون جذريا على مستوى القوى الدولية وأيضا على العلاقات فيما بينها، حيث برزت دول منتصرة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا ثم اليابان وإيطاليا، بينما تراجع نفوذ الإمبراطوريات المهزومة ألمانيا، النمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية.